(فضل الخشية من الله تعالى)

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَهْدِيهِ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إلَيْه ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئاتِ أعْمالِنا ، مَن يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَهُ ، ونَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ القائل : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله القائل :

(عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

- عباد الله : بعدما انتهت معركة أحد التى شُجت فيها رأسُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُه وسال الدم على وجهه وقتِل فيها سبعون من أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجع المشركون من أحد قال أبوسفيان : لَمْ تقتلوا محمداً ؟ بئس ما صنعتم! إرجعوا إليهم فلما علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون بذلك فقالوا : (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) أي فوضنا أمرنا إليه فيكفينا ما أهمنا! ثم دعا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين لملاقاة أبى سفيان ومن معه فلبوا دعوته مع مابهم من جراح حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد 12 كيلو من المدينة فأنزل الله : (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) فلما فوضوا أمرهم لله ألقى الله الرعب في قلوب المشركين فرجعوا إلى مكة خائفين ، وعاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المؤمنين إلى المدينة سالمين لأن الله كفاهم ما أهمهم !!! .

- هذا هوالإيمان الذي يزلزل قلوب الملحدين الذين يظنون أن الأمر بيدهم! وما علموا بأن لله مقاليد السماوات والأرض لقوله تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ففى الكون آيات كونية يظهرها الله لعباده إذا اتخذوا أسبابها وآيات خارقة ينصر الله بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام الذين صبروا على أذى قومهم فلم يخشوا أحدا إلا الله وبلغوا رسالاته قال تعالى : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) والويل كل الويل لمن كتم علما ، أو رأى منكرا فلم يغيره بيده أو بلسانه أو بقلبه بسبب قرابة ، أو صداقة ، أو خشية الناس يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لاَيَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ) قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ ؟ قالَ : (يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ ثُمَّ لاَ يَقُولُ فِيهِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ خَشْيَةُ النَّاسِ فَيَقُولُ : فَإِيَّاىَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى) .

- فأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الذين يخشون ربهم بالغيب وهم أقوى من الجبال إيمانا لذلك فقد ضرب الله لهم مثلا بالجبال فقال تعالى : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) أما الذين لايؤمنون بالغيب فهم أشد قسوة من الحجارة قال تعالى لبنى إسرائيل : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) ولقائل : كيف تكون الحجارة أشد ليونة وطراوة من قلوب بنى إسرائيل ؟ لعدم انتفاعهم بما أنزل على أنبيائهم من آيات قال تعالى :

(وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

- فخشية العبد من ربه تجعله مطمئنا بقضاء الله وقدره فلا يُشغل نفسه بغير ربه مهما ضاق به الحال ولقد جاء فى بعض الكتب المقدسة : (يا ابنَ آدمَ! خَلَقْتُكَ لِلعِبَادةِ فَلا تَلعَب ، وَقَسمتُ لَكَ رِزقَكَ فَلا تَتعَب فَلا تُتعب قلبك وتفكيرك أما تعب الجوارح فمطلوب فإن رَضِيتَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ أَرَحتَ قَلبَكَ وَبَدَنَكَ وكُنتَ عِندِي مَحمُوداً ، وإن لم تَرضَ بِمَا قَسَمتُهُ لَكَ فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُسَلِّطَنَّ عَلَيكَ الدُنيَا تَركُضُ فِيهَا رَكضَ الوُحوشِ فِي البَرِيَّةِ ثُمَّ لا يَكُونُ لَكَ فِيهَا إلا مَا قَسَمتُهُ لَكَ وَكُنتَ عِندِي مَذمُومَا) .

- ولقد ضرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع الأمثلة في الخشية من الله فقد جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فقالُوا أي رأوها قليلة وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ وَأَمَّا أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ وَأَمَّا أَنَا فَأَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) فالرهط ما دون العشرة ويطلق على الواحد وعلى الجمع ، فيطلق على الواحد فى قول أهل مدين لنبيهم شعيب عليه السلام : (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) أي ولولا أنك في عشيرتك وقومك ويطلق على الجمع كما فى قوله تعالى :

(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ)

فالذين يخشون ربهم بالغيب سيجنون ثمارا لن تبور! فمن هذه الثمار : الهداية والصلاح قال تعالى :
(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)

- الفوز والفلاح قال تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)

- المغفرة والأجر الكبير قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)

- دخول الجنة والنجاة من النار قال تعالى : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) .

- تحصيل العلم النافع وفهم الفتوى قال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) فالذى لايخشى الله فإن الله يحجب عنه نور العلم! وللشافعي رضي الله عنه أبيات سارت بين طلبة العلم مسير الشمس يقول فيها :
شكوتُ إلى وكيع سوءَ حِفظي * فأرشدني إلى تَرْكِ المعاصي & وأخبرني بأن العلمَ نورٌ * ونورُ اللهِ لا يُهدى لعاصي
فلا يحرم من العلم إلا من عصى ربه! فسبيل العلم النافع تقوى الله قال تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

- فحرمان الرزق سواء كان علما أو مالا بسبب الذنوب فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذنب يصيبه) ونذكركم بقول القائل : كيف ذلك ونحن نَرَى الْكُفَّارَ أَكْثَرَ مَالاً وَصِحَّةً مِنَ أهل الإيمان ؟ نقول : إن الْحَدِيثَ مَخْصُوصٌ بِالْمُسْلِمِ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يحرمه فِي الدُّنْيَا لِيَرْفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الأَخِرَةِ كما يعطي الكافر في الدنيا ثم يحرمه في الآخرة قال تعالى :
(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

- قال بعض السلف : كنت كثيرا أقول بأي شيء فُضُل عبد الله بن المبارك علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة ؟ فيصلي كما نصلي ويصوم كما نصوم ويحج كما نحج...وفى ليلة كنا مسافرين فانطفأ علينا السراج فقام بعضنا لإصلاحه فلما أضئ رأيته قد ابتلت لحيته من كثرة الدموع فقلت في نفسي : بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل فلعله عندما أطفئ السراج تذكر ظلمة القبر فتأثر وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول : إن نفسي تراودني المعصية ولا أستطيع كبح جماحها فماذا أفعل ؟ قال : إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه ، ولاتنم على أرضه ، ولاتعصه أمام عينيه ، فقال الرجل وكيف يكون هذا ولله ملك السماوات والأرض ؟ فقال : أما تستحي منه! تأكل من رزقه وتنام على أرضه وتعصه أمام عينيه ؟ فكلنا ذلك الرجل أيها المسلمون نأكل من رزقه ، وننام على أرضه ، ونعصيه أمام عينيه! فإلى متى سنظل على معصية الله ؟ فهل إلى الموت ؟ عندئذ لا تفيد التوبة! قال تعالى : (مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) .
عندما يأتى الموت سنود الرجوع إلى الدنيا لنعمل صالحا ولكن هيهات! هيهات! قال تعالى :
(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

- فلماذا لم نغير من واقعنا حتى يغير الله لنا ؟ نقص عليكم قصة عالم كبير لعلنا نقتدى به ، فعندما غير واقعه غير الله له وهداه إلى الصراط المستقيم هو الإِمَامُ العَالِمُ المُحَدِّثُ الزَّاهِدُ بشر الحافى أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري يصفه أحد علماء عصره : ما أخرجت بغداد أتم عقلا منه فما سبب بلوغه هذه المنزلة ؟ لقد بلغ منزلة العلماء بسبب توبته من لهو ومن سُكْر فلقد كان بشر رجلاً لاهياً ، وذات يوم مر بداره رجل عالم من علماء عصره فسمع آلات الطرب والغناء فقرع باب الدار فخرجت إليه خادمة بشر فقال العالم : أحر صاحب هذه الدار أم عبد ؟ فقالت الجارية : بل حر! فقال العالم : صدقتي لو كان عبدا لقام بحق العبودية ثم انصرف وعادت الجارية إلى سيدها بشر فقال لها : من بالباب ؟ قالت : رجل يسأل ويقول : أحر صاحب هذه الدار أم عبد ؟ فقلت له : بل حر فقال بشر : أين الرجل ؟ قالت : ذهب في سبيله فقال لها أين توجه ؟ قالت : من هذه الناحية فأسرع إليه حافي القدمين حتى لحق به فقال بشر : أنت الذي قرعت باب داري ؟ قال العالم : نعم قال : فماذا قلت للجارية ؟ قال قلت : أحر صاحب هذه الدار أم عبد ؟ فقالت : بل حر! قلت : صدقتي لو كان عبدا لقام بحق العبودية فألصق بشر خده بالتراب وقال : بل عبد بل عبد بل عبد! ومن هذا اليوم غيَّرَ بشرُ قلبه إلى الله فقبل منه وهداه الصراط المستقيم ، فلما رجع إلى داره كسر أدوات الطرب وطرد رفقاء السوء وكان بعد ذلك يمشي حافي القدمين فقيل له لماذا لم تلبس نعلين ؟ فقال : صالحت ربي على هذه الحال فلا أتحول عنها حتى ألقاه! ومَاتَ بِشْرٌ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي يَوْمَ الجُمُعَةِ 10 مِنْ شَهْرِ رَبِيْعِ الأول وقيل 10 من المحرم سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ وكانت جنازته حافلة جدًا فقد أخرج من بيته بعد صلاة الفجر فلم يوضع في قبره إلا بعد صلاة العشاء من كثرة المُشيِّعين وجميعهم محبون له .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)
بعدما انتهت معركة أحد التى شُجت فيها رأسُ...
هذا الإيمان الذي يزلزل قلوب الذين يظنون أن الأمر بيدهم!
ففى الكون آيات كونية يظهرها...لعباده إذا اتخذوا أسبابها
والويل كل الويل لمن كتم علما أو رأى منكرا فلم ينه عنه بسبب
فأمة...هم الذين يخشون...بالغيب وهم أقوى من الجبال إيمانا لذلك ضرب
أما الذين لايؤمنون بالغيب كبنى...فأشد قسوة من الحجارة قال...(ثُمَّ
كيف تكون الحجارة أشد ليونة من قلوب بنى ؟ لعدم انتفاعهم بما أنزل على...من آيات
فخشية العبد من..تجعله مطمئنا بقضاء..فلا يُشغل نفسه بغير..مهما ضاق به
ولقد ضرب الرسول...أروع الأمثلة في الخشية من...
فالرهط ما دون العشرة يطلق على الواحد ويطلق على الجمع
فالذين يخشون...بالغيب سيجنون ثمارا لن تبور! فمن هذه الثمار :
الهداية والصلاح/ الفوز والفلاح/ المغفرة والأجر الكبير/ دخول الجنة/العلم
فالذى لايخش...فإن...يحجب عنه العلم وللشافعي...فسبيل العلم النافع تقوى...
فحرمان الرزق سواء كان ع أو م بسبب الذنوب للحديث..كيف ذلك ونحن نَرَى الْكُفَّارَ
قال بعض السلف كنت أفكر كثيرا بأي شيء فُضِّل ابن المبارك علينا
وجاء رجل إلى عالم يقول : إن نفسي تراودني المعصية ولاأقدر على منعها
فقال له إذا أردت أن تعصي...فلا تأكل من رزقه ولاتنم على أرضه ولاتعصه أمامه
فكلنا ذلك الرجل أيها...نأكل من رزقه وننام على أرضه ونعصه أمام عينيه
فإلى متى سنظل على المعصية ؟ فهل إلى الموت ؟ عندئذ لا تفيد التوبة! (مَا يَنظُرُونَ
عندما يأتى الموت سنود الرجوع إلى الدنيا لنعمل صالحا ولكن هيهات! هيهات
فلماذا لم نغير من واقعنا حتى يغير الله لنا ؟ نقص عليكم قصة عالم كبيرلعلنا نقتدى به
لقد بلغ منزلة العلماء بسبب توبته من لهو ومن سُكْر فلقد كان بشر رجلاً لاهيا